

## أي رمضان هو رمضانك؟

الشيخ: عمر الخدراوي

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يُهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) (آل عمران:102) . ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)) (النساء:1) . ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)) (الأحزاب:70-71) .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هديُّ محمدٍ وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثة بدعة ، وكلُّ بدعة ضلالة ، وكلُّ ضلالة في النار  
أيها الأخوة المؤمنون: بالأمس كنا نتحدث من على هذا المنبر المبارك عن الإستهعداد لشهر رمضان وعن استقبال شهر رمضان.

وكنا نحدث أنفسنا باهتبال فرصة رمضان، ولكم منيناها بصلاحها فيه ، ولطالما عاهدنا أنفسنا قبل دخوله بأوبة حقة، وتوبة صادقة،  
وها نحن - أيها الأحبة في الله - يطالعنا شهرٌ وموسمٌ من الخير جديد فأَيُّ رمضانٍ يكونُ رمضاننا هذه المرة؟! .. هل هو رمضانُ المسوفين الكسلانيين؟! أم رمضان المسارعين المجدين؟!!

هل هو رمضان التوبة أم رمضان الشقوة، هل هو شهرُ النعمة أم شهرُ النقمة؟!  
هاهو هلال رمضان قد حل ووجهه سعده قد ظل .

رمضان: المنحة الربانية، والهبة الإلهية، قال تعالى: ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (البقرة: 185).

شهرٌ يفوق على الشهور بليلةٍ من ألف شهر فضلت تفضيلاً  
طوبى لعدبٍ صح فيه صيامه ودعا المهيمن بكرةً وأصيلاً  
وبليله قد قام يختم ورده متبتلاً لإلهه تبتيلاً

رمضان: أشرف الشهور، وأيامه أحلى الأيام ، يعاتب الصالحون رمضان على قلة الزيارة، وطول الغياب ، فيأتي بعد شوقٍ ويفد بعد فراق فيجيبه لسان الحال قائلاً:

أهلاً وسهلاً بالصيام	يا حبيباً زارنا في كل عام
قد لقيناك بحبٍ مفعم كل	حب في سوى المولى حرام
فاقبل اللهم ربي صومنا	ثم زدنا من عطايك الجسام
لا تعاقبنا فقد عاقبنا	قلق أسهرنا جنح الظلام

أخي الحبيب. إن رمضان فرصة من فرص الآخرة التي تحمل في طياتها غفران الذنوب وغسل الخطايا...!! وكم تمر بنا الفرص ونحن لا نشعر.. هذه فرصة وما أعظمها، تحمل سعادة الإنسان الأبدية فأين المبادرون، وأين المسارعون .. إن الصيام هو المدرسة التي يتعلم منها المسلمون، ويتهذب فيها العابدون ويتحنث فيها المتسكون..

جاء شهرُ الصيام بالبركات\* فأكرم به من زائرٍ هو آت

نعم إنه شهر البركات والرحمات: فرمضان شهر الطاعة والقربى، والبر والإحسان، والمغفرة والرحمة والرضوان ، والعنق من النيران: ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسئلت الشياطين)) .

وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا كان أول ليلة من رمضان صفت الشياطين ومردة الجن وغُلقت أبواب النيران فلم يفتح منها باب وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة)) رواه الترمذي وابن ماجة والنسائي وحسنه الألباني.

الصيام يُصلح النفوس، ويدفع إلى اكتساب المحامد، والبعد عن المفسد، به تُغفر الذنوب وتُكفر السيئات وتزداد الحسنات، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)) متفق عليه.

نعم يا عبد الله : رمضان سببٌ لتكفير الذنوب والسيئات إلا الكبائر قال صلى الله عليه وسلم: ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهنّ إذا اجتنبت الكبائر)) رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : ((فتنة الرجال في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة)) متفق عليه.

رمضان فيه إجابة الدعوات وإقالة العثرات قال صلى الله عليه وسلم: ((كل مسلم دعوة مستجابة يدعو بها في رمضان)) ويقول صلى الله عليه وسلم : ((ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم)) رواه أحمد.

هذه هي فرصة رمضان فأبى رمضان يكون رمضانك، وتلك هي نعمة رمضان فماذا أنت فاعل وما ذا أنت صانع:

أتى رمضان مزرعة العباد	لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولاً وفعلاً	وزادك فاتخذهُ للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها	تأوه نادماً يوم الحصاد

إن شهراً بهذه الصفات وتلك الفضائل والمكرّمات لحرى بالاهتبال والاهتمام ، فهل هيأت نفسك أخي المسلم لاستقباله وروضتها على اغتنامه !؟

عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، افترض الله عليكم صيامه يفتح فيه أبواب الجنة ويغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ)). رواه أخرج أحمد والنسائي وصححه الألباني.

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان وإتيانه كل ذلك شحذاً للهمم وإذكاءً للعزائم وتهيئةً للنفوس ، حتى تحسن التعامل مع فرصة رمضان ، وحتى لا تفوتها ، وهذا شأن السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - قال معلى ابن الفضل عن السلف أنهم كانوا يدعون الله جل وعلا ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ويدعونه ستة أخرى أن يتقبله منهم ، وقال يحيى بن كثير - رحمه الله - كان من دعائهم : اللهم سلمني إلى رمضان وسلم لي رمضان وتسلمه مني فتقبله .

أيها الأحبة في الله : قدوم رمضان تلو رمضان يدل على تعاقب الأيام، فالأيام تمضي والسنون تجري وكل إلى داع الموت سيصغي :

تمر بنا الأيام تترى وإنما \*\*\* نساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عائدُ ذاك الشبابُ الذي مضى \*\*\* ولا زائلُ هذا المشيبُ المكدرُ

أتى رمضان يا عبد الله فأى رمضان يكون رمضانك؟ وما هو استعدادك وما هي مراسم استقبالك له. فالناس في استقباله أقسام: فهل أنت - يا أخي - من القسم الفرح بقدومه لأنه يزداد به قربى وزلفى إلى ربه جل وعلا، وهذا شأن المؤمنين: ((يا أيها الناسُ قد جاءنكم مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ \* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)) (يونس: 57، 58) .

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم على رأس هؤلاء يقول ابن عباس رضي الله عنهما : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل في كل ليلة، فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة)) متفق عليه.

وهناك صنف ثانٍ - وأعيذك بالله من حاله - لا يعرف ربه إلا في رمضان فلا يصلي ولا يقرأ القرآن إلا في رمضان، وهذه توبة زائفة ومخادعة وتسويل من الشيطان وبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان.. ويا حسرة على أقوام تعساء يستقبلونه بالضجر والتضايق والحرص على أنه شهر جوع نهاري وشبع ليلي.. إن بعض العصاة يرونه مانعاً لهم من شهواتهم ومن ماربهم الباطلة فهم كالذئاب في الليل تعوي وكالجيف في النهار تخور كما يخور الثور.

وياعجباً هل يتأفف من شهر الرضوان والرحمة!! لا والله بل هو شهر الخير والنعمة والبركة، إن الواحد من هؤلاء هدامهم الله يحس بالحرمان من الشهوات ولذلك تراهم إذا قدم رمضان غير فرحين بقدومه لأن هؤلاء يريدون أن يغتربوا من حمأة اللذة المحرمة حتى لقد قال بعض التعساء من أولاد الخلفاء كما ذكره الحافظ ابن رجب في الوظائف:

دعاني شهر الصوم لا كان من شهر \*\* ولا صمت شهراً بعده آخر الدهر  
فلو كان يعديني الأنام بقوة على الشهر \*\* لاستعديت قومي على الشهر  
والذي حصل لهذا الشاب أن ابتلاه الله بمرض الصرع فكان يُصرَعُ في اليوم مراتٍ  
وكراتٍ وما زال كذلك حتى مات قبل أن يصوم رمضان الآخر، نسأل الله تعالى حسن  
الختام .

أيها المسلم : إن من نعم الله تعالى عليك أن مدّ في عمرك ومدّ في أنفاسك وجعلك  
تدرك خيرات هذا الشهر العظيم، فاحمدوا الله - عباد الله - أن بلغكم، واشكروه على  
أن أخركم إليه ومكنكم، فكم من طامع بلوغ هذا الشهر فما بلغه، كم مؤمل إدراكه فما  
أدرکه، فاجأه الموت فأهلكه.

أيها المسلمون: بلغناه وكم حبيب لنا فقدناه، أدركناه وكم قريب لنا أضجعناه، صُمناه  
وكم عزيز علينا دفناه.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب \*\*\* حتى عصى ربه في شهر شعبان

لقد أظلك شهر الصوم بعدهما \*\*\* فلا تصيره أيضاً شهر عصيان  
واتل القرآن وسبّح فيه مجتهداً \*\*\* فإنه شهر تسبيح وقرآن  
كم كنت تعرف ممن صام في سلف \*\*\* من بين أهل وإخوان وجيران  
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم حياً \*\*\* فما أقرب القاصي من الداني  
يا عبد الله : يا أمة الله ، هل يأتي عليكما رمضان وأنتما في قوة وعافية ؟ فكم من  
إنسان صام رمضان الفائت في عافية وصحة وقوة يأتي عليه رمضان القابل وهو  
قعيدُ الفراش أسيرُ المرض ، هل يأتي عليك رمضان وأنت في أمن وأمان على نفسك  
واهلك ومالك .

يا عبد الله يا من تعيش آمناً مستقراً تتلذذ بخيرات الله خل نفسك واحداً من هؤلاء  
الذين يصومون وهم أسارى أو يتسحرون ويفطرون على الحدود وفي الملاجئ ، خل  
نفسك واحداً من أولئك الذين يحتاجون إلى الفطر دفاعاً عن الملة والدين ، خل نفسك  
جائعاً مطرداً شريداً كما يحصل للمسلمين الفلسطينيين وغيرهم من المسلمين في غير  
ما مكان الذين يعانون آلام الحصار والتشردم والشتات وتسلط الكفار والفجار .

رمضان شهر الشعور بإخوانك المسلمين فأى رمضان رمضانك : هل شعرت بإخوانك  
في أقاصي الأرض ومغاربها لابد للمسلم الصائم أن يشعر بآلام المسلمين ، وأن  
يستشعر حال إخوانه في كل مكان ، فإذا جاع تذكر أن آلاف البطون جوعى تنتظر  
لقمةً فهل من مطعم ، وهو إذا عطش تذكر أن آلاف الأكباد عطشى تنتظر قطرةً من  
الماء فهل من ساقى ، وهو إذا لبس تذكر أن آلاف الأجساد قد لحقها العري فهل من  
كاسي ، يشعر بنعمة الله جلا وعلا عليه أن أعطاه السحور والإفطار وغيره محروم ،  
أن ألبسه وغيره عار ، فالحمد لله على نعمائه .

رمضان شهر العبادة فأى رمضان رمضانك هل اتخذت منه فرصة لتربية نفسك على  
العبادة : فالصيام يربينا على العبادة فلئن كان المسلم يعبد ربه جلا وعلا في سائر  
شهوره وأيامه إلا أنه يأخذ في رمضان دورةً عباديةً يزيد فيها من جرعات الطاعة

ونكهاث الإيمان والإخلاص حتى يقوى على ما تبقى من الشهور ويجعل هذه الفرصة منطلقاً إلى فعل الخيرات تقول عائشة رضي الله عنها: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره " أخرجه مسلم.

ولياي رمضان تاج لياي العام، ودجاها ثمينة بظلمائها، فيها تصفو الأوقات وتحلو المناجاة، قال صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل))، ورمضان شهر القيام يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه)) متفق عليه.

وقيام رمضان أمر مشروع فعلى المسلم أن يحرص على أداء صلاة التراويح وأن يكملها مع الإمام حتى ينصرف ، قال صلى الله عليه وسلم: ((من قام مع إمامه حتى ينصرف كتب له قيام ليلة)) ، رواه أهل السنن وهو صحيح .

فله الحمد والمنة يقوم المصلي ساعة من الليل مع الإمام فكأنما قام الليل كله. ولا ننسى أيها الإخوة الاهتمام بالفرائض أولاً والمواظبة عليها في المساجد جماعة، فالله عز وجل يحب التقرب إليه بالفرائض، فلا ننسى الفرض ونهتم بالنوافل والمستحبات.

رمضان شهر النفحات والبركات : فلماذا لا نقوم رمضان ، لماذا لا نجرب لذة القران ، ولذة المناجاة والدعاء ، لماذا لا نجرب وقت الأسحار وهجيع الليل لماذا لا ننطرح بين يدي مولانا ، فربنا ينزل في ثلث الليل الأخير نزولاً يليق بجلاله وعظمته يعرض نفحاته ورحماته فلماذا لا نتعرض لرحمات الله!!

قم في الدجى وائل الكتاب \*\*\* ولا تتم إلا كنومة حائر ولهان  
فلربما تأتي المنية بغتة \*\*\* فتساق من فرش إلى أكفان  
يا حبذا عينان في غسق الدجى \*\*\* من خشية الرحمن باكيتان  
فالله ينزل كل آخر ليلة \*\*\* لسماؤه الدنيا بلا نكران  
فيقول هل من سائل فأجيبه \*\*\* فأنا القريب أجيب من ناداني

ولكن يا حسرةً على المحرومين ، ويا حسرةً على المفتونين الذين يجعلون وقت  
السحر ووقت الاستغفار وقت نزول الإلهي فرصةً للعب واللهو ومشاهدة القنوات  
وتقليب الأبصار في الغانياتِ والمومساتِ يا حسرةً على العباد!! .

لعلها أيها الأحبة في الله أن تكون بداية النهاية- إن شاء الله - لكل شيء يبعد عن الله  
ويسخطه، ولعلها أن تكون بداية الانطلاقة الحقيقية في المسارعة إلى الخيرات  
وإرضاء رب الأرض والسموات.

رمضان شهر التوبة فأَي رمضان يكون رمضانك : سعد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم المنبر فقال: (( "أمين، أمين، أمين " فقيلاً: يا رسول الله ، إنك سعدت المنبر  
فقلت: أمين أمين أمين !! فقال صلى الله عليه وسلم : " إن جبريل عليه السلام أتاني  
فقال: من أدرك شهرَ رمضان فلم يُغفر له فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، قلت:  
أمين)) أخرج ابن خزيمة وابن حبان انظر صحيح الترغيب والترهيب(2/625).

فالبدار البدار قبل أن لا توبة تُتال، ولا عثرة تُقال، ولا يُفدى أحد بمال، فحُثوا حزم  
جزمكم، وشدوا لبد عزمكم، وأروا الله خيراً من أنفسكم، فبالجد فاز من فاز، وبالعزم  
جاز من جاز، واعلموا أن من دام كسله خابَ أمله، وتحقق فشله..

يا عبد الله : هذا أوان الجد إن كنت مجداً، هذا زمان التعبد إن كنت مستعداً ، هذا  
نسيم القبول هبّ ، هذا باب الخير مفتوح لمن أحب، هذا زمان الإياب، رحمة من  
الكريم الوهاب، فأسرعوا بالمتاب ، قبل إغلاق الباب.

فبادر الفرصة، وحاذر الفوتة، ولا تكن ممن أباي، وخرج رمضان ولم ينل فيه الغفران  
والمنى .

هاهو موسم التوبة والإنابة، فباب التوبة مفتوح، وعطاء ربنا ممنوح، فمتى نتوب من  
إسرافنا في الخطايا وأكثرنا من المعاصي إن لم نتب في شهر رمضان؟! ومتى نعود  
إن لم نعد في شهر الرحمة والغفران؟! فلنبادر بالعودة إلى الله، ونطرق بابَه، ونكثر

من استغفاره، ونغتتم زمنَ الأرباح، فأيامَ المواسمِ معدودة، وأوقاتَ الفضائلِ مشهودة، وفي رمضان كنوزَ غالية، فلا نضيّعها باللهو واللعب وما لا فائدة فيه، فإننا لا ندري متى نرجع إلى الله، وهل ندرك رمضان الآخر أو لا ندركه؟ وإن اللبيب العاقل من نظر في حاله، وفكر في عيوبه، وأصلح نفسه قبل أن يفجأه الموت، فينقطع عمله، وينتقل إلى دار البرزخ ثم إلى دار الحساب.

جعل الله صيامنا صياماً حقيقياً مقبولاً وجعله إيماناً واحتساباً إيماناً بما عنده، واحتساباً لثوابه، كما أسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم وسائر المسلمين ممن صام الشهر، واستكمل الأجر، وفاز بليلة القدر، كما أسأله أن يجعلنا ممن يصومونه ويقومونه إيماناً واحتساباً. اللهم اكتب صيامنا في عداد الصائمين وقيامنا في عداد القائمين .

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.